ولما كانت الآلهة القديمة مرآة لتفكير اتباعها فقد رأينا العبريين يسبغون على يهـوه الخلود الذي منحوه لانفسهم مثلما اسبغت بابل الزوال والغير على الآلهة التي عبدتها. أصبح يهوه اله الحرب الذي لا يقهر او يزول ، واصبح بقاء اسرائيل جزءا من بقائه . نشأت هنا علاقة وطيدة بين العابد والمعبود نستشف منها علاقة اشبه بعلاقة الابـوة القبلية . اسرائيل هي التجسيم الكامل للذات الالهية كما قال لوزاتو . ونجد صـدى لمثل هذه النظرة في مقاطع كثيرة من العهد القديم بينما دأب التلمود على تسمية اليهود بابناء الواحد الاعلى . ومن الناحية الاخرى تؤيد العبادة الفيتيشية* التي اتبعتهـا اسرائيل حسب رأي ادوارد ماير(٥)والتنظيم المعبدي والقبلي مثـل تلك النظرة اذا اقررنا بان تابوت الرب الذي تتوجه اليه الصلاة هو في الواقع فيتش او طوطم لا اكثر وان الطوطم هو تقليديا روح او جسم أب او جد عظيم الشأن .

بعد اجيال قليلة تعرض هذا الشعب الناشيء المفرط الحس القلق النفسية الـى صدمة رضية (تروما) في سني ترعرعه الاولى . لقد قدر له ان يخوض حروبا مستمرة ضد قدماء الفلسطينيين الذين تفوقوا عليه بمعرفتهم صهر الحديـد ومن ثم صنـع الاسلحة . وبعد هزيمة مرة في معركة بن عيزر وقع قادة اسرائيل بالخطأ المهلك بـأن قرروا سد الهوة التكنولوجية بشحنة دينية . قرروا اخراج تابوت الرب وتسليمـه مقدمة الجيش ظنا بأن اله الحرب سيكفي فعلا لكسب الحرب . كانت النتيجة سقوط التابوت اسيرا بيد الفلسطينيين بعد هزيمة دامية . وبالرغم من العفوية التي يـروي بها سفر صاموئيل المعركة ، فان عباراتها مشحونة بالدلالات . يحمل النبأ الى المدينة رجل شق ثوبه وعفر رأسه بالتراب ــ العلامات التقليدية على موت عزيز . يجـد في طريقه عالي (حاكم اسرائيل) متنكبا قارعة الطريق قلقا على تابوت الرب . فمـا ان يسمع عالي صراخ المدينة ويدرك الخبر حتى يسقط فيكسر رقبته فيموت . ويسـرع المخاض الى كنته فتلد ولدا تسميه ايخابود قائلة « قد زال المجد عن اسرائيل لان تابوت الله قد أخذ »(٦).

وعاشت اسرائيل الفترة التالية في وجوم وفوضى متخذة لنفسها آلهة أخرى . ولاول مرة شعرت بشذوذها فردد أبناؤها نريد ملكا كبقية الشعوب . مـات الرب عاش الملك . فكان أن نصبوا شاؤل على العرش ، ولا يخلو هذا من فحواه فقد كان اول ملك لاسرائيل مبتل بنوبات دورية من الكآبة والملنخوليا والبارانويا . وبالرغم من اعـادة تابوت الرب اليهم فان هؤلاء تركوه منسيا في زاوية من بيت ابينادب كشيء مـن سقط المتاع . وعندما أعيد له اعتباره ، نهجوا تدريجيا على اسقاط اسمه والاشارة اليه بكلمة « أدوني » ، أي الرب أو السيد بدلا من اسمه الصريح « يهـوه » الذي كان شائعا قبلا . من تقاليد الحداد الشائعة عند الساميين الامتناع عن ذكر اسم المتوفى .

ولا بد من طرح السؤال بعد مأساة بن عيزر : ما الذي أودى بيهوه ، اله الحـرب الابدي السرمدي ؟ ولا بد ان جاء الجواب بالكلمات التي طالما وردت كلما حلت كارثة باسرائيل . انه انقسامهم وعصيانهم وكفرانهم . لقد قصروا بحق الرب فتركوه يسقط في المعركة . انها بعبارة أخرى جريمة قتل الرب (ديساييد) . وبالنظـر اليها من الزاوية الاوديبية الفرويدية قتل الاب (بترسايد) نظرا لسمة الابناء ــ الاب التي وسموا بها علاقة اسرائيل بالرب .

وبراي أهل التحليل النفسي ، ان مثل هذا التوهم يؤدي اخيرا الى مركب الاثم ، ومن ثم الكآبة ولا سيما عندما يجابه مواقف مساعدة . والتقى العبريون بكثير مـن هذه

---

* Fetishism .